الفصل الخامس

٥ـ المفاضلة بين الملائكة والبشر

الخلاف في المسألة قديم :

قال ابن كثير في البداية والنهاية (٥٨/١) : وقد اختلف الناس في تفضيل الملائكة على البشر على أقوال : فأكثر ما توجد هذه المسألة في كتب المتكلمين ، والخلاف فيها مع/ المعتزلة ومن وافقهم ، وأقدم كلام رأيته في هذه المسألة ما ذكره الحافظ ابن عساكر في تاريخه في ترجمة أمية بن عمرو بن سعيد بن العاص : أنّه حضر مجلساً لعمر بن عبد العزيز وعنده جماعة ، فقال عمر : ما أحد أكرم على الله من كريم بني آدم ، واستدل بقوله تعالى : (إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية) ، (سورة البينة /٧) ووافقه على ذلك أميّة بن عمرو بن سعيد ، فقال عراك بن مالك : ما أحد أكرم على الله من ملائكته ، هم خدمة دارَيْه ، ورسله إلى أنبيائه ، واستدل بقوله تعالى : (ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة إلا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين) ، (سورة الأعراف / ٢٠) ، فقال عمر بن عبد العزيز لمحمد بن كعب القرظي : ما تقول أنت يا أبا حمزة ؟ فقال : قد أكرم الله آدم فخلقه بيده ، ونفخ فيه من روحه ، وأسجد له ملائكته ، وجعل من ذريته الأنبياء ، والرسل ومن يزوره الملائكة ، فوافق عمر بن عبد العزيز في الحكم واستدل بغير دليله ، وهذا الذي ذكره ابن كثير من كلام عمر بن عبد العزيز وجلسائه في هذه المسألة يبين خطأ ما قاله تاج الدين الفزاري حيث يقول : (هذه المسألة من بدع علم الكلام ، التي لم يتكلم فيها الصدر الأول من الأمة ولا من بعدهم من أعلام الأئمة) (شرح الطحاوية ٣٣٩) بل قد ثبت أن بعض الصحابة تكلموا في شيء من ذلك ،

فهذا عبد الله بن سلام يقول : ما خلق الله خلقاً أكرم عليه من محمد ، فقيل له : ولا جبريل ولا ميكائيل ؟ فقال للسائل : (أتدري ما جبريل وميكائيل ؟ إنما جبريل وميكائيل خلق مسخر كالشمس والقمر ، وما خلق الله خلقاً أكرم عليه من محمد ـ ﷺ ـ) رواه الحاكم في مستدركة وصححه هو والذهبي (راجع شرح الطحاوية بتحقيق الألباني ص : ٣٤٢) .

الأقوال في المسألة :

يذكر شارح الطحاوية أنه ينسب إلى أهل السنة تفضيل صالحي البشر والأنبياء فقط على الملائكة ، وأن المعتزلة يفضلون الملائكة ، وأتباع الأشعري على قولين ، منهم من يفضل الأنبياء والأولياء ، ومنهم من يقف ولا يقطع في ذلك قولاً ، وحكي عن بعضهم ميل إلى تفضيل الملائكة ، وحكي ذلك عن غيرهم من أهل السنة وبعض الصوفية . وقالت الشيعة : إن جميع الأئمة أفضل من جميع الملائكة ، ومن الناس من فصّل تفصيلاً آخر ، ولم يقل أحد ممن له قول يؤثر إن الملائكة أفضل من بعض الأنبياء دون بعض ، وذكر أن أبا حنيفة ـ رحمه الله ـ توقف في الجواب عن هذه المسألة ، وإلى التوقف جنح شارح الطحاوية رحمه الله تعالى) ، (شرح العقيدة الطحاوية / ٣٣٨) .

وذكر السفاريني في (لوامع الأنوار ٣٩٨/٢) أنَّ الإمام أحمد ـ رحمه الله ـ كان يقول : (يخطىء من فضل الملائكة ، وقال : كل مؤمن أفضل من الملائكة) .

موطن النزاع :

لا خلاف في أن الكفرة والمنافقين غير داخلين في المفاضلة ، فهؤلاء أضل من البهائم (أولئك كالأنعام بل هم أضل) ، (سورة الأعراف /١٧٩) .

ولا نعني بالمفاضلة : التفضيل بين حقيقة البشر وحقيقة الملائكة ، وإنّما المفاضلة بين صالحي البشر والملائكة ، وإن ذهب بعض الناس إلى أن الملائكة أفضل من سائر المؤمنين ، والنزاع عندهم في المفاضلة بين الأنبياء والملائكة .

حجة الذين يفضلون صالحي البشر على الملائكة :

بعد أن حررنا محل النزاع نبين حجة الذين ذهبوا إلى تفضيل البشر .

الدليل الأول : أن الله أمر الملائكة بالسجود لآدم فلولا فضله لما أمروا بالسجود له . (وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس أبى واستكبر) ، (سورة البقرة / ٣٤) .

ورد بعضهم أن السجود كان لله ، وآدم إنما كان قبلة لهم ، ولو كان هذا صحيحاً لقال : اسجدوا إلى آدم ، ولما قال : (اسجدوا لآدم) .

ولو كان المقصود اتخاذ آدم قبلة لما امتنع إبليس من السجود ، ولما زعم أنّه خير من آدم ، فإنَّ القبلة تكون أحجاراً وليس في اتخاذها قبلة تفضيل لها .

صحيح أن سجود الملائكة لآدم كان عبادة لله ، وطاعة له ، وقربة يتقربون بها إليه ، إلا أنه تشريف لآدم وتكريم وتعظيم .

ولم يأت أن آدم سجد للملائكة ، بل لم يؤمر آدم وبنوه بالسجود إلا لله رب العالمين ، لأنَّهم ـ والله أعلم ـ أشرف الأنواع وهم صالحو بني آدم ليس فوقهم أحد يحسن السجود له إلا الله رب العالمين .

الدليل الثاني : قوله قصصاً عن إبليس : (أرأيتك هذا الذي كرمت علي) ، (سورة الاسراء / ٦٢) فإن هذا نص في تكريم آدم على إبليس إذ أمر بالسجود له .

الدليل الثالث : أن الله تعالى خلق آدم بيده ، وخلق الملائكة بكلمته .

الدليل الرابع : قوله تعالى (إني جاعل في الأرض خليفة) ، (سورة البقرة ٣٠) فالخليفة يفضل على من ليس خليفة ، وقد طلبت الملائكة أن يكون الاستخلاف فيهم ، والخليفة منهم حيث قالوا : (أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء) ، (سورة البقرة /٣٠) الآية .. فلولا أن الخلافة درجة عالية أعلى من درجاتهم لما طلبوها وغبطوا صاحبها .

الدليل الخامس : تفضيل بني آدم عليهم بالعلم حين سألهم الله ـ عز وجل ـ عن علم الأسماء فلم يجيبوه ؛ واعترفوا أنهم لا يحسنونها فأنبأهم آدم بذلك ، وقد قال تعالى : (هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون) ، (سورة الزمر / ٩) .

الدليل السادس : ومما يدل على تفضيلهم أن طاعة البشر أشق ، والأشق أفضل ، فإن البشر مجبولون على الشهوة والحرص والغضب والهوى وهي مفقودة في الملك .

الدليل السابع : أن السلف كانوا يحدثون الأحاديث المتضمنة فضل صالحي البشر على الملائكة ، وتروى على رؤوس الناس ، ولو كان هذا منكراً لأنكروه ، فدل على اعتقادهم ذلك .

الدليل الثامن : مباهاة الله بهم الملائكة :

يباهي الله بعباده الملائكة ، اذا أدوا ما أوجبه عليهم وأمرهم به . فإذا صلوا الفريضة باهى بهم الملائكة ففي مسند أحمد وابن ماجه عن عبد الله ابن عمرو أن الرسول ـ ﷺ ـ قال : (أبشروا ، هذا ربكم قد فتح باباً من أبواب السماء ، يباهي بكم الملائكة ، يقول : انظروا إلى عبادي قد قضوا فريضة ، وهم ينتظرون أخرى) ، (صحيح الجامع ٦٧/١) .

وعن أبي هريرة أن الرسول ـ ﷺ ـ قال : (إن الله يباهي بأهل عرفات

أهل السماء ، فيقول لهم : انظروا إلى عبادي هؤلاء جاؤوني شعثاً غبراً) اسناده صحيح ، رواه ابن حبان في صحيحه والحاكم والبيهقي في السنن (صحيح الجامع ١٤١/٢) .

والذين فضلوا الملائكة احتجوا بمثل حديث (من ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي ، ومن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم) .

واحتجوا بأن بني آدم فيهم النقص والقصور ، وتقع منهم الزلات والهفوات ، واحتجوا بمثل قوله تعالى : (ولا أقول لكم اني ملك) ، (سورة الأنعام ٥٠) وهذا يدل على فضل الملائكة على البشر .

تحقيق القول في ذلك :

وتحقيق القول في ذلك ما ذكره ابن تيمية من أن صالحي البشر أفضل باعتبار كمال النهاية ، وذلك إنما يكون إذا دخلوا الجنة ونالوا الزلفى ، وسكنوا الدرجات العلا ، وحياهم الرحمن وخصهم بمزيد قربه ، وتجلى لهم ، يستمتعون بالنظر إلى وجهه الكريم ، وقامت الملائكة في خدمتهم بإذن ربهم .

والملائكة أفضل باعتبار البداية فإن الملائكة الآن في الرفيق الأعلى ، منزهون عمّا يلابسه بنو آدم ، مستغرقون في عبادة الرب ولا ريب أن هذه الأحوال الآن أكمل من أحوال البشر .

قال ابن القيم : وبهذا التفصيل يتبين سرّ التفضيل وتتفق أدلة الفريقين ويصالح كل منهم على حقه[1] . والله أعلم بالصواب .

---

(١) ومن أراد مزيد من البحث في هذه المسألة فليرجع إلى (مجموع الفتاوى) ٣٥٠/١١ وإلى (لوامع الأنوار البهية ٣٦٨/٢) وإلى (شرح العقيدة الطحاوية ٣٣٨)

المَـرَاجع

١ ـ اغاثة اللهفان : لابن القيم .
٢ ـ البداية والنهاية : لابن كثير .
٣ ـ بصائر ذوي التمييز : للفيروزآبادي .
٤ ـ تخريج أحاديث فضائل الشام : للشيخ ناصر الدين الألباني .
٥ ـ تفسير ابن كثير .
٦ ـ حجة الله البالغة : لولي الله الدهلوي .
٧ ـ شرح العقيدة الطحاوية .
٨ ـ سلسلة الأحاديث الصحيحة : للشيخ ناصر الدين الألباني .
٩ ـ صحيح الجامع الصغير : لناصر الدين الألباني .
١٠ ـ العقيدة في الله : للمؤلف .
١١ ـ لوامع الأنوار البهية (عقيدة السفاريني) .
١٢ ـ مجموع فتاوى ابن تيمية : جمع ابن قاسم .
١٣ ـ معارج القبول : للشيخ حافظ الحكمي .